سيرة الإمام الحسين ابن علي عليه السلام وأثرها في التنشئة الاجتماعية

المدرس المساعد
حيدر جابر الموسوي
الكلية الإسلامية الجامعة ـ النجف الأشرف

المدرس المساعد
عتاب السوداني
جامعة الكوفة ـ كلية التربية الأساسية

لا أحسب أن هناك فذاً من أفذاذ العقل الإنساني من يضارع أهل البيت عليهم السلام في مواهبهم وعبقرياتهم التي امتدّت مع الزمن وسرت موجاتها لتطوير الفكر الإنساني وتنمية الوعي الديني والاجتماعي والسياسي لجميع شعوب الأرض. لقد فجروا ينابيع العلم والحكمة في الشرق، وأسسوا في دنيا العرب من العلوم ما يزيد على ثلاثين علماً، مضافاً إلى آرائهم المشرقة في مختلف مجالات الحياة. إن الطاقات العلمية الهائلة التي بثّها أهل البيت عليهم السلام ونخص بالذكر منهم موضوع بحثنا الإمام الحسين ابن علي عليه السلام قد ساهمت مساهمة ايجابية في صنع الحضارة الإنسانية، وبلورة الفكر الاجتماعي، وهي بجميع أبعادها ستبقى أعظم رصيد يملكه المسلمون ويفخرون به على أمم العالم وشعوب الأرض. والمرء منذ وجوده يسعى إلى أن لا يترك أبنائه دون وعظ ونصح وإرشاد وتنشئة صالحة وكان الإمام الحسين ابن علي عليه السلام تواقاً إلى ذلك فيما نقل من العلوم، إذ حظيت هذه العلوم التي نبه لها في أقواله وما اقره في أفعاله بكثير من الاهتمام من لدن العلماء والباحثين المعاصرين ولعل بعضها قد توافق مع ما اقره علماء النفس فيما اختص منها بالعلوم التربوية لاسيما التنشئة الاجتماعية والتي تعتبر من أدق العمليات وأخطرها شأناً في حياة الفرد لأنها الدعامة الأولى التي ترتكز عليها مقومات الشخصية، إذ تؤدي البيئة الاجتماعية المحيطة بالفرد دوراً بالغ الأهمية في تشكيل شخصيته وتحديد أنماط سلوكه، وفي تزويده بالمعارف والمهارات والخبرات الاجتماعية اللازمة من أجل استمراره، وتمكنه من مجابهة مواقف الحياة الخارجية المختلفة. ومن هنا جاءت فكرة بحثنا هذا والمتضمن مبحثين تناولت في المبحث الأول مفهوم التنشئة الاجتماعية وأهدافها ودور المجتمع والأسرة والمدرسة فيها وأساليب تطبيقها وآثارها أما المبحث الثاني فقد تناولنا فيه أشكال التنشئة الاجتماعية في سيرة الإمام الحسين ابن علي عليه السلام وهو اكتساب السلوك المرغوب فيه والقيم الاجتماعية المقبولة.

المبحث الأول

مفهوم التنشئة الاجتماعية

التنشئة الاجتماعية:

التنشئة الاجتماعية عملية تعليمية تبدأ من الأسرة وتنتهي بالمجتمع الكبير وتراعي عدة أمور: كيف يكون سلوك الطفل؟ كيف يواجه الأزمات وكيف يتكيف تكيفاً سليماً مع مجتمعه؟ وهي تدور حول أنواع السلوك وقيم التنشئة الاجتماعية[1].

أهداف التنشئة الاجتماعية:

إن التنشئة الاجتماعية عملية معقدة ومتشعبة الأهداف تستهدف مهام كثيرة وتحاول بمختلف الوسائل تحقيق ما تصبوا إليه ويبقى محتوى ومضمون عملية التنشئة الاجتماعية يختلف من مجتمع إلى آخر وتكون الشخصية الفردية كمعطى من المعطيات ذات أنماط مختلفة باختلاف تلك الثقافات والتي تحدد مضمون التنشئة الاجتماعية منها ما يأتي:

- اكتساب الصفة الاجتماعية، والحفاظ على فطرته السليمة وإبراز جوانب إنسانيته.
- غرس ثقافة المجتمع في شخصية الفرد.
- تنشئة الفرد على ضبط سلوكه، وإشباع حاجاته بطريقة تساير القيم الدينية والأعراف الاجتماعية حيث تعلمه كيفية كف دوافعه غير المرغوبة أو الحد منها.
- تعلم العقيدة والقيم والآداب الاجتماعية والأخلاقية وتكوين الاتجاهات المعترف بها داخل المجتمع وقيمه بصفة عامة، وذلك حتى يستطيع الفرد اختيار استجاباته للمثيرات في المواقف المختلفة التي يتعرض لها يومياً.
- تعليم الفرد أدواره الاجتماعية والتي يشغلها الأفراد باختلاف الجنس والسن، فدور المرأة مختلف عن دور الرجل ودور الطفل عن دور الرجل الناضج.
- غرس عوامل ضبط داخلية للسلوك وتلك التي يحتويها الضمير وتصبح جزءاً أساسياً، لذا فإن مكونات الضمير إذا كانت من الأنواع الإيجابية فإن هذا الضمير يوصف بأنه حي، وأفضل أسلوب لإقامة نسق الضمير في ذلك الطفل أن يكون

الأبوين قدوة لأبنائهما حيث ينبغي ألا يأتي أحداهما أو كلاهما بنمط سلوكي مخالف للقيم الدينية والآداب الاجتماعية[٢].

دور المجتمع، الأسرة، المدرسة في التنشئة الاجتماعية:

دور المجتمع:

يتحدد دور المجتمع في بناء سلطته، وطريقة تعاملها مع الأفراد وكيف تنسق لتربية الأجيال الجديدة في إطار هذه السلطات، لكي تكون مستجيبة لأوامرها، منتهية بنواهيها، ولكن الفرد ليس الوحيد الذي يتكيف، فالمجتمعات تتكيف أيضاً، فهي تتغير وتتبدل بمفاهيمها وقيمها ومثلها العليا ومعتقداتها ومواقفها وطرائق معاملتها، ثم طرائق حياتها، ومع تبدل المجتمعات تتغير التربية وطرائقها وأهدافها[٣].

دور الأسرة:

لسيطرة أحد الوالدين أثر مباشر على نوع الدور الذي يملكه الطفل في حياته الراهنة والمقبلة فإذا كان الأب مسيطراً فإن ذلك ينحو بالذكور من الأطفال إلى تقمص دور الأب وبذلك يميلون في سلوكهم إلى النمط الذكري الرجولي، وإذا كانت الأم هي المسيطرة فإن ذلك يؤدي بالأطفال الذكور في الأغلب والأعم إلى السلوك العصابي بل والذهاني أحياناً، وعلى عكس ذلك والى حد ما بالنسبة لسلوك الإناث من الأطفال، والولد يقلد الأب لأن الأب هو النموذج الصالح كما يرتضيه له المجتمع، والبنت تقلد الأم لأن الأم هي النموذج الصالح كما يرتضي لها المجتمع، وعندما تتعارض سيطرة الأب مع سيطرة الأم، يواجه الطفل صراعا في اختيار الدور الذي يقلده، وقد ينحرف سلوكه على مسالك لا سوية، وخير نموذج للعلاقات الوالدية الصالحة للتنشئة الاجتماعية السوية هو الذي يشيع في جو الأسرة نوعاً من التكامل بين سلوك الأب وسلوك الأم بحيث ينتهي إلى تدعيم المناخ الديمقراطي المناسب لتنشئة أطفال الجيل المقبل[٤].

دور المدرسة:

تعد المدرسة الوكالة الاجتماعية الثانية، بعد الأسرة للقيام بوظيفة التنشئة الاجتماعية للأطفال والأجيال الشابة، حيث تقوم المدرسة بإعداد الأجيال الجديدة روحياً ومعرفياً

وسلوكياً وبدنياً وأخلاقياً ومهنياً، وذلك من أجل أن تحقق للأفراد اكتساب عضوية الجماعة والمساهمة في نشاطات الحياة الاجتماعية المختلفة، وتعمل المدرسة اليوم على تحقيق عدد كبير من المهام التربوية، ومن بين هذه المهام التي تقوم بها يمكن أن نذكر على سبيل المثال وليس الحصر، جملة من الوظائف أبرزها: التربية الفنية والتربية البدنية(٥).

أساليب التنشئة الاجتماعية للوالدين وتأثيراتهما السلبية والايجابية على الأطفال:

تعدد أساليب التنشئة الاجتماعية المستخدمة من قبل الآباء والأمهات تجاه أطفالهم ومن المعروف أن هذه الأساليب لها تأثيراتها السلبية والايجابية على الجوانب الانفعالية والاجتماعية للأطفال وفيما يأتي أهم هذه الأساليب:

- **المساندة العاطفية:**

العلاقة الأسرية التي تمتاز بإقامة علاقات عاطفية تساعد على النمو السليم لشخصية الطفل ولكن التهديد بالحرمان من قبل الوالدين نحو أبنائهم يساعد على تنشئتهم تنشئة غير سليمة.

- **أسلوب الضبط الوالدي:**

ويقصد به قدرة الوالدين على التدخل في الوقت المناسب حتى لا يصل الطفل إلى درجة التسيب ويكون ذلك بالعقاب البسيط.

نمط العداء لدى الوالدين:

إن الطريقة التي يتربى بها الطفل في سنواته الأولى والقائمة على المخاوف وانعدام الأمن تؤدي إلى تعرض الأطفال إلى الاضطرابات النفسية والتأخر في نواحي النمو المختلفة.

- **الحماية الزائدة لدى الوالدين:**

إن رعاية الطفل والاهتمام به من الأمور الضرورية التي يجب على الوالدين القيام بها ولكن لا أن يصل بها إلى درجة الحماية المفرطة، وتأخذ تلك الحماية الأبعاد الآتية: التعلق المكثف بالطفل، عدم إعطاء الطفل الحرية في استقلالية السلوك.

- **تسلط الوالدين:**

والمقصود من ذلك الأسلوب الذي يتبعه الوالدين في فرض الآداب والقواعد التي

تتماشى مع مراحل عمر الطفل وذلك بالنهي والتوبيخ، ومن هذه الأسباب لجوء الآباء إلى التسلط: امتصاص الأب لمجموعة من القيم والمعايير الصارمة في طفولته مما يضطر إلى تطبيقها على أطفاله(٦).

المبحث الثاني

اكتساب السلوك والقيم المرغوب فيها

من السلوكيات والقيم التربوية التي يجب تنشئة الطفل عليها وترسيخها في نفوسهم لتصبح منهاج ونبراس لحياتهم:

الإيمان بالله:

إن الأساس الذي يجب تعليمه للطفل في سبيل التربية الصحيحة إشعاره بوجود الله والإيمان به بلسان ساذج متيسر الفهم، وإن الحاجة للإيمان بالله موجودة في باطن كل إنسان بفطرته الطبيعية. فعندما يبدأ جهاز الإدراك عند الطفل بالنشاط والعمل، ويستيقظ حس التتبع فيه، ويأخذ في السؤال عن علل الأشياء ومنشأ كل منها فإن نفسه الطاهرة وغير المشوبة تكون مستعدة تماما لتلقي الإيمان بخالق العالم، وهذه الحالة هي أشد الحالات طبيعة في بناء الطفل. وللإيمان بالله أثرين مهمين: الأول: انه يعمل على إحياء أعظم واقعية روحانية أي الفطرة العقيدية، ويصب ركائز السعادة الواقعية للإنسان. الثاني: إن جميع الفطريات الروحية والفضائل الخلقية تستيقظ في ظل القوة التنفيذية للإيمان. وقد بين الإمام عليه السلام قيمة الإيمان من خلال كثرة عبادته فقد كان أعبد أهل زمانه وأعلمهم وأفقههم وأكرمهم. فأتجه بعواطفه ومشاعره نحو الله إذ تفاعلت جميع ذاتياته بحب الله والخوف منه، فقد عمل كل ما يقربه إلى الله فكان كثير الصلاة والصوم والحج والصدقة وأفعال الخير، فكان عليه السلام في طليعة العارفين بالله وعظيم الخوف منه شديد الحذر من مخالفته حتى قال له بعض أصحابه:" ما أعظم خوفك من ربك؟!! " فقال عليه السلام: "لا يأمن يوم القيامة إلا من خاف الله في الدنيا... "(٧).

الثبات على المبدأ:

الثبات على المبدأ الحق من أقدس واجبات الأمة وفروضها الحتمية، فهو الذي يرفع معنوياتها، ويعزز قيمتها، ويحقق أهدافها وأمانيها. ولم تعرف البشرية في تاريخها المديد،

أكمل وأفضل من المبادئ الإسلامية الحائزة على جميع الخصائص والفضائل التي أهلتها للخلود، وبوأتها قمة الشرائع والمبادئ هي المبادئ الوحيدة التي تلاءم الفِطَر السليمة وتؤلف بين القيم المادية والروحية، وتكفل لمعتنقيها سعادة الدين والدنيا. لذلك مجّد القرآن الكريم المسلمين الثابتين على مبادئهم الرفيعة، المستمسكين بقيم الإيمان ومثله العليا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾[٨] ومن هؤلاء الثابتين على مبادئهم الرفيعة الحسين ابن علي عليه السلام فقد سما وأهل بيته الطاهرون وأصحابه الأكرمون إلى أوج رفيع، تنحطّ دونه الهمم والآمال في الثبات على المبدأ والتمسك بالحق، رغم حراجة الموقف، ومعاناة أفدح الخطوب والأهوال. وقف الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، وقد أحاط به ثلاثون ألف مقاتل، يبغون إذلاله وقتله، فصرخ في وجوههم صرخته المدوّية، وأعلن عن إبائه وشموخه بكلماته الخالدة المجلجلة في مسمع الدهر، والتي لا تزال دستوراً حيّاً يقدسه الأباة والأحرار: (ألا وإنّ الدعيّ ابن الدعيّ، قد ركز بين اثنتين، بين السِّلة والذّلة، وهيهات منّا الذلة، يأبى اللّه ذلك لنا ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأنوف حميّة، ونفوس أبيّة، من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام)[٩]. ويؤكد الحسين عليه السلام ثباته على المبدأ مؤثراً في سبيله القتل والفداء على الحياة الخانعة الذليلة (واللّه لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقر لكم إقرار العبيد)[١٠]. (إني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برماً)[١١].

وما أحوج المسلمين اليوم أن يستلهموا جهاد أولئك العظماء الأفذاذ، ويقتفوا آثارهم، في التمسك بالدين، والثبات على المبدأ، والتفاني في نصرة الحق، ليستردوا مجدهم الضائع، وعزهم السليب، وينقذوا أنفسهم من هوان هزائم الفاضحة والنكسات المتتالية، من خلال تنشئة وتوجيه أبنائهم نحو هذا الخلق الكريم والسلوك الأمثل في ثباتهم على مبادئهم والدفاع عنه.

الحلم وكظم الغيظ:

قد يحسب السفهاء أن الحلم وكظم الغيظ من دلائل الضعف، ودواعي الهوان، ولكنّ العقلاء يرونها من سمات النبل، وسمو الخلق، ودواعي العزة والكرامة. فكلما عظم

الإنسان قدراً، كرمت أخلاقه، وسمت نفسه، عن مجاراة السفهاء في جهالتهم وطيشهم، معتصماً بالحلم وكرم الإغضاء، وحسن العفو، ما يجعله مثار الإكبار والثناء. وقد مدح الله الحلماء والكاظمين الغيظ، وأثنى عليهم في محكم كتابه. فقال تعالى ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[١٢].

كما قيل:

وذي سفه يخاطبني بجهل ... فآنف أن أكون له مجيبا

يزيد سفاهةً وأزيد حلماً ... كعودٍ زاده الإحراق طيبا[١٣]

وإن استقرأت سيرة الإمام الحسين عليه السلام تجد نمط فريداً، ومثلاً عالياً، في دنيا السير والأخلاق فنجد الحلم من أسمى صفات أبي شهداء عليه السلام ومن أبرز خصائصه فقد كان - فيما أجمع عليه الرواة - لا يقابل مسيئا بإساءته، ولا مذنبا بذنبه، وإنما كان يغدق عليهم ببره ومعروفه، من ذلك ما قصه الراوي: (جنى غلام له جناية توجب العقاب عليه فأمر به أن يضرب، فقال: يا مولاي والكاظمين الغيظ قال: خلوا عنه، فقال: يا مولاي والعافين عن الناس "قال: قد عفوت عنك، قال: يا مولاي" والله يحب المحسنين قال: أنت حر لوجه الله، ولك ضعف ما كنت أعطيك.)[١٤].

الكرم:

للتعاطف صور زاهرة، تشع بالجمال والروعة والبهاء، ولا ريب أن أسماها شأناً، وأكثرها جمالاً وجلالاً، وأخلدها ذكراً هي: عطف الموسرين، وجودهم على البؤساء والمعوزين، بما يخفف عنهم آلام الفاقة ولوعة الحرمان. وبتحقيق هذا المبدأ الإنساني النبيل (مبدأ التعاطف والتراحم) يستشعر المعوزون إزاء ذوي العطف عليهم، والمحسنين إليهم، مشاعر الصفاء والوئام والودّ، مما يسعد المجتمع، ويشيع فيه التجاوب، والتلاحم والرخاء. وبإغفاله يشقى المجتمع، وتسوده نوازع الحسد، والحقد، والبغضاء، والكيد. فينفجر عن ثورة عارمة ماحقة، تزهق النفوس، وتمحق الأموال، وتهدد الكرامات. من أجل ذلك دعت الشريعة الإسلامية إلى السخاء والبذل والعطف على البؤساء والمحرومين، واستنكرت على المجتمع أن يراهم يتضورون سُغَباً وحرماناً، دون أن يتحسس بمشاعرهم، وينبري

لنجدتهم وإغاثتهم. واعتبرت الموسرين القادرين والمتقاعسين عن إسعافهم أبعد الناس عن الإسلام، وإنما حرّض الإسلام أتباعه على الأريحية والسخاء، ليكونوا مثلاً عالياً في تعاطفهم ومواساتهم، ولينعموا بحياة كريمة، وتعايش سلمي، ولأن الكرم حمام أمن المجتمع، وضمان صفائه وازدهاره[١٥].

إباؤه للضيم:

أما إباؤه للضيم ومقاومته للظلم واستهانته القتل في سبيل الحق والعز فقد ضربت به الأمثال وسارت به الركبان وملئت به المؤلفات وخطبت به الخطباء ونظمته الشعراء وكان قدوة لكل أبي ومثالا يحتذيه كل ذي نفس عالية وهمة سامية ومنوالا ينسج عليه أهل الإباء في كل عصر وزمان وطريقا يسلكه كل من أبت نفسه الرضا بالدنية وتحمل الذل والخنوع للظلم، لذلك لقب (بأبي الضيم) وهي من أعظم ألقابه ذيوعا وانتشارا بين الناس فقد كان المثل الأعلى لهذه الظاهرة فهو الذي رفع شعار الكرامة الإنسانية ورسم طريق الشرف والعزة، فلم يخنع، ولم يخضع لقرود بني أمية، وآثر الموت تحت ظلال الأسنة،، وقد أتى الحسين عليه السلام في ذلك بما حير العقول وأذهل الألباب وأدهش النفوس وملأ القلوب واعيا الأمم عن أن يشاركه مشارك فيه واعجز العالم أن يشابهه أحد في ذلك أو يضاهيه وأعجب به أهل كل عصر وبقي ذكره خالدا ما بقي الدهر، أبى أن يبايع يزيد بن معاوية السكير الخمير صاحب الطنابير والقيان واللاعب بالقرود والمجاهر بالكفر والإلحاد والاستهانة بالدين قائلا لمروان وعلى الإسلام السلام إذ قد بليت الأمة براع مثل يزيد، ولأخيه محمد بن الحنفية: والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية، في حين أنه لو بايعه لنال من الدنيا الحظ الأوفر والنصيب الأوفى ولكان معظما محترما عنده مرعي الجانب محفوظ المقام لا يرد له طلب ولا تخالف له إرادة لما كان يعلمه يزيد من مكانته بين المسلمين وما كان يتخوفه من مخالفته له وما سبق من تحذير أبيه معاوية له من الحسين فكان يبذل في إرضائه كل رخيص وغال، ولكنه أبى الانقياد له قائلا: أنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله وبنا ختم ويزيد رجل فاسق شارب الخمر قاتل النفس المحترمة ومثلي لا يبايع مثله، فخرج من المدينة بأهل بيته وعياله وأولاده، ملازما للطريق الأعظم لا يحيد عنه، فقال له أهل بيته: لو تنكبته كما فعل ابن الزبير كيلا يلحقك الطلب، فأبت نفسه

أن يظهر خوفا أو عجزا. وقال: والله لا أفارقه حتى يقضي الله ما هو قاض، ولما قال له الحر: أذكرك الله في نفسك فاني أشهد لئن قاتلت لتقتلن، أجابه الحسين عليه السلام مظهرا له استهانة الموت في سبيل الحق ونيل العز، فقال له: أ فبالموت تخوفني وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني، وسأقول كما قال أخو الأوس وهو يريد نصرة رسول الله ص فخوفه ابن عمه وقال: أين تذهب فانك مقتول: فقال:

سأمضي وما بالموت عار على الفتى ... إذا ما نوى حقا وجاهد مسلما

أقدم نفسي لا أريد بقاءها ... لتلقي خميسا في الوغى وعرمرما

فان عشت لم أندم وإن مت لم ألم ... كفى بك ذلا أن تعيش فترغما

يقول الحسين عليه السلام: ليس شأني شان من يخاف الموت ما أهون الموت علي في سبيل نيل العز وإحياء الحق ليس الموت في سبيل العز إلا حياة خالدة، وليست الحياة مع الذل إلا الموت الذي لا حياة معه، أ فبالموت تخوفني هيهات طاش سهمك وخاب ظنك لست أخاف الموت إن نفسي لأكبر من ذلك وهمتي لأعلى من أن أحمل الضيم خوفا من الموت وهل تقدرون على أكثر من قتلي مرحبا بالقتل في سبيل الله ولكنكم لا تقدرون على هدم مجدي ومحو عزي وشرفي فإذا لا أبالي بالقتل.[١٦] ووصفه ابن أبي الحديد:(سيد أهل الإباء الذي علم الناس الحمية، والموت تحت ظلال السيوف)[١٧] ولقد علم أبو الأحرار الناس نبل الإباء ونبل التضحية يقول فيه مصعب ابن الزبير: (واختار الميتة الكريمة على الحياة الذميمة)[١٨].

التواضع:

هو أن يرى الإنسان نفسه في نفسه من حسن خُلقه وجميل عشرته للناس، ولا يتعالى على أحد منهم، ولا يرى أنّه فوقهم، بل يشكر الله على كل نعمة فضّله الله بها عليهم. فالتواضع خلق كريم، يستهوي القلوب، ويستثير الإعجاب والتقدير، وناهيك في فضله أن الله تعالى أمر حبيبه، وسيد رسله صلى الله عليه وآله بالتواضع، فقال: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[١٩].

وجبل الإمام الحسين عليه السلام على التواضع ومجافاة الأنانية والكبرياء، وقد ورث هذه الظاهرة من جده الرسول صلى الله عليه وآله الذي أقام أصول الفضائل ومعالي الأخلاق في الأرض، وقد

نقل الرواة بوادر كثيرة من سمو أخلاقه وتواضعه نلمع إلى بعضها: مر الحسين بن علي عليه السلام بمساكين قد بسطوا كساء لهم وألقوا عليه كسرا فقالوا: هلم يا ابن رسول الله! فثنى وركه فأكل معهم ثم تلا "إن الله لا يحب المستكبرين" ثم قال: قد أجبتكم فأجيبوني، قالوا: نعم يا ابن رسول الله، فقاموا معه حتى أتوا منزله، فقال للجارية: أخرجي ما كنت تدخرين فأخرجت ما عندها من نقود فناولها لهم(٢٠). وفي رواية أخرى أنه: مر على فقراء يأكلون كسرا من أموال الصدقة، فسلم عليهم فدعوه إلى طعامهم، فجلس معهم، وقال: لولا أنه صدقة لأكلت معهم ثم دعاهم إلى منزله، فأطعمهم، وكساهم، وأمر لهم بدراهم(٢١).

الشجاعة:

من أمهات الأخلاق وأصولها فضلاً عن الحكمة والعفة والعدل، فالشجاعة: شدة القلب عند البأس، والرجل الشجاع قيل الذي فيه خفة كالهوج لقوته.(٢٢) ولم يشاهد الناس في جميع مراحل التاريخ أشجع، ولا أربط جأشا، ولا أقوى جنانا من الإمام الحسين عليه السلام فقد وقف يوم الطف موقفا حير فيه الألباب، وأذهل فيه العقول، وأخذت الأجيال تتحدث بإعجاب وإكبار عن بسالته، وصلابة عزمه، وقدم الناس شجاعته على شجاعة أبيه التي استوعبت جميع لغات الأرض، وقد بهر أعداؤه الجبناء بقوة بأسه، فإنه لم ينهار أمام تلك النكبات المذهلة التي أخذت تتواكب عليه، وكان يزداد انطلاقا وبشرا كلما ازداد الموقف بلاء ومحنة، فإنه بعد ما فقد أصحابه وأهل بيته زحف عليه الجيش بأسره وكان عدده - فيما يقول الرواة - ثلاثين ألفا، فحمل عليهم وحده وقد ملك الخوف والرعب قلوبهم فكانوا ينهزمون أمامه كالمعزي إذا شد عليها الذئب - على حد تعبير الرواة - وبقي صامدا كالجبل يتلقى الطعنات من كل جانب، ولم يوه له ركن، وإنما مضى في أمره استبسالا واستخفافا بالمنية(٢٣).

الصبر:

هو استطاعة الفرد على ضبط أعصابه في أحرج المواقف، وممّا يدعو إلى تماسك الشخصية وتوازنها الصبر على الأحداث وعدم الانهيار أمام محن الأيام وخطوبها(٢٤) ولقد أكد الإسلام أهمية التحلي بهذه القيمة وحث المسلمين عليها، إذ من يتحلى. بها فإن الله يثيبه بغير حساب قال تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(٢٥).

والصبر من النزعات الفذة التي تفرد بها سيد الشهداء الصبر على نوائب الدنيا ومحن الأيام، فقد تجرع مرارة الصبر منذ أن كان طفلا، فرزئ بجده وأمه، وشاهد الأحداث الرهيبة التي جرت على أبيه، وما عاناه من المحن والخطوب، وتجرع مرارة الصبر في عهد أخيه، وهو ينظر إلى خذلان جيشه له، وغدرهم به، حتى أرغم على الصلح، وبقي معه يشاركه في محنه وآلامه، حتى اغتاله معاوية بالسم، ورام أن يوارى جثمانه بجوار جده فمنعته بنو أمية فكان ذلك من أشق المحن عليه. ومن أعظم الرزايا التي صبر عليها أنه كان يرى انتقاض مبادئ الإسلام، وما يوضع على لسان جده من الأحاديث المنكرة التي تغير وتبدل شريعة الله، ومن الدواهي التي عاناها أنه كان يسمع سب أبيه وانتقاضه على كل هذه الرزايا والمصائب. وتواكبت عليه المحن الشاقة التي تميد بالصبر في يوم العاشر من المحرم فلم يكد ينتهي من محنة حتى تطوف به مجموعة من الرزايا والآم، فكان يقف على الكواكب المشرقة من أبنائه وأهل بيته، وقد تناهبت السيوف والرماح أشلاءهم فيخاطبهم بكل طمأنينة وثبات: (صبرا يا أهل بيتي، صبرا يا بني عمومتي، لا رأيتم هوانا بعد هذا اليوم)[٢٦][٢٧]. وقد بصر شقيقته عقيلة بني هاشم، وقد أذهلها الخطب، ومزق الأسى قلبها، فسارع إليها، وأمرها بالخلود إلى الصبر والرضا بما قسم الله. ومن أهوال تلك الكوارث التي صبر الإمام عليها أنه كان يرى أطفاله وعياله، وهم يضجون من ألم الظمأ القاتل، ويستغيثون به من أليم العطش فكان يأمرهم بالصبر والاستقامة، ويخبرهم بالعاقبة المشرقة التي يؤل إليها أمرهم بعد هذه المحن الحازبة. وقد صبر على ملاقاة الأعداء الذين ملئت الأرض جموعهم المتدفقة، وهو وحده يتلقى الضرب والطعن من جميع الجهات، قد تفتت كبده من العطش وهو غير حافل بذلك كله. لقد كان صبره وموقفه الصلب يوم الطف من أندر ما عرفته الإنسانية يقول الأربلي: "شجاعة الحسين يضرب بها المثل، وصبره في الحرب أعجز الأوائل والأواخر"[٢٨]. إن أي واحدة من رزاياه لو ابتلى بها أي إنسان مهما تدرع بالصبر والعزم وقوة النفس لأوهنت قواه واستسلم للضعف النفسي، ولكنه عليه السلام لم يعن بما ابتلي به في سبيل الغاية الشريفة التي سمت بروحه أن تستسلم للجزع أو تضرع للخطوب، يقول المؤرخون: إنه تفرد بهذه الظاهرة، فلم توه عزمه الأحداث مهما كانت، وقد توفى له ولد في حياته فلم ير عليه أثر للكآبة فقيل له في ذلك فقال عليه السلام (إنا أهل بيت نسأل الله فيعطينا، فإذا أراد ما نكره فيما نحب رضينا)[٢٩] لقد رضى بقضاء الله واستسلم لأمره،

وهذا هو جوهر الإسلام ومنتهى الإيمان.

الخاتمة:

وفي نهاية بحثنا المتواضع هذا توصلنا إلى النتائج الآتية:

- تنمية الطفل تنمية تربوية ونفسية سليمة، تشعره بالثقة والطمأنينة وتكوين قيم وعادات اجتماعية سليمة، من خلال الأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام.
- الابتعاد عن القيم والسلوكيات الغير مرغوب فيها التي تؤدي إلى مسارات الجنوح والشذوذ.
- تأكيد الدور التربوي لدور العبادة والمراقد الدينية المقدسة لتثقيفهم الآباء وتوعيتهم بأفضل الأساليب التربوية لتنشئة الأطفال.
- إنّ المصدر الذي استقى منه الإمام الحسين ابن علي عليه السلام قيمه القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، التي قام عليها النظام التربوي الإسلامي.
- إنّ القيم التربوية مرتبطة الواحدة بالأخرى، إذ ليس من الصواب الاهتمام بقيمة وإهمال القيم الأخرى؛ لأن كل واحدة منها تكمل الأخرى، وهذا التداخل فيما بينها يجعلها تشكل كتلة واحدة، فالعدل بحاجة إلى الشجاعة والحكمة، والعز، والكرامة لابدّ لها من التضحية والشجاعة التي قد يكون طريقها الشهادة، وهكذا تتداخل هذه القيم فيما بينها لتشكل الإنسان المؤمن الذي هو هدف التربية الإسلامية.

هوامش البحث

(١) التنشئة الاجتماعية في المجتمع العربي في ظروف اجتماعية متغيرة، سهير عبد العزيز محمد، ٥.
(٢) المصدر نفسه، ٥.
(٣) تنشئة الأطفال وثقافة التنشئة، عبد الواحد علواني، ١٥.
(٤) علاقة الأسرة والتنشئة الاجتماعية بالعنف الأسري، أبو ذراع أحمد، ٧.
(٥) نظرة معاصرة في علم الاجتماع المعاصر، سلوى عبد المجيد،٣.
(٦) أساليب التنشئة الاجتماعية للوالدين وتأثيراتها، سهير عبد العزيز، ٥
(٧. بحار الأنوار، المجلسي، ج١٩٢/٤٤
(٨) سورة فصلت، آية ٣١-٣٢
(٩) بحار الأنوار، المجلسي، ج٩/٤٥
(١٠) بحار الأنوار، المجلسي، ج٧/٤٥
(١١) بحار الأنوار، المجلسي، ١٩٢/٤٤
(١٢) سورة آل عمران، آية ١٣٤
(١٣) الكشكول، بهاء الدين العاملي، ٤
(١٤) بحار الأنوار، المجلسي،ج١٩٥/٤٤
(١٥) أخلاق أهل البيت، مهدي الصدر،٨١
(١٦) أعيان الشيعة، محسن الأمين العاملي، ج٥٨١/١
(١٧) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج٢٩٢/٢
(١٨) تاريخ الأمم والملوك، أبي جعفر الطبري، ج٢٧٢/٦
(١٩) الحجر، آية ٨٨
(٢٠) بحار الأنوار، المجلسي،ج٤٤، ١٨٩
(٢١) بحار الأنوار، المجلسي،ج٤٤/ ١٩١
(٢٢) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: ٣٣٠
(٢٣) حياة الإمام الحسين، باقر شريف القريشي، ج١١٨/١
(٢٤) المعجم العربي الأساسي. احمد العيد وآخرون: ٨٦١
(٢٥) سورة النحل، آية ٩٦
(٢٦) حياة الإمام الحسين، باقر شريف القريشي، ج١٢٢/١
(٢٧) بحار الأنوار، المجلسي، ج٣٦/٤٥
(٢٨) كشف الغمة، الأربلي، ج٢٠/٢
(٢٩) حياة الإمام الحسين، باقر شريف القريشي، ج١٢٢/١

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ابن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله (ت ٦٥٦هـ/١٢٥٨م) **شرح نهج البلاغة**، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ب. ت
- أحمد، أبو ذراع، **علاقة الأسرة والتنشئة الاجتماعية بالعنف الأسري**، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، ٢٠٠٤، ٢٠٠٥
- الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. **مختار الصحاح**، دار الرسالة، الكويت،١٩٨٣
- الصدر، مهدي، **أخلاق أهل البيت** عليهم السلام، ط٤، دار المتقين للطباعة والنشر، بيروت، لبنان،٢٠١١.
- الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، **تاريخ الأمم والملوك**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت، لبنان، ب.ت
- العاملي، محسن الأمين، **أعيان الشيعة**، تحقيق: حسن الأمين، التعارف للمطبوعات، بيروت، لبنان، ب.ت
- العاملي، محمد بن الحسن، **الكشكول**، مصر- القاهرة، ب.ت
- عبد العزيز، سهير محمد، **التنشئة الاجتماعية في المجتمع العربي في ظروف اجتماعية متغيرة**، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ط١، ٢٠٠١
- عبد المجيد، سلوى، **نظرة معاصرة في علم الاجتماع المعاصر**، مطبعة النيل، القاهرة، ٢٠٠٢.
- علواني، عبد الواحد **تنشئة الأطفال وثقافة التنشئة**، دار الفكر المعاصر، سوريا ١٩٩٧
- العيد، احمد وآخرون، **المعجم العربي الأساسي**، تقديم الأستاذ الدكتور محي الدين صابر، جميع حقوق التأليف والنشر محفوظة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم توزيع لاروسي، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
- المجلسي، محمد باقر، **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الائمة الأطهار**، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان،ط٢، ١٩٨٣.
- مجيد، سوسن شاكر، **أساليب التنشئة الاجتماعية للوالدين وتأثيراتها**، بحث منشور، ب.ت.